



سلطة الخيال

على المرء ان يخرج من لبنان فترة، ولو قصيرة، ليتبين عند عودته حدة المأزق الذي تغرق فيه البلاد. في الخارج يسمع عن تحولات قد تحصل في السياسة الدولية، يشاهد اناساً يهتمون بدخول "غوغل" المدوي الى بورصة نيويورك اكثر من اي شيء آخر. تصله اصداء المأساة العربية في فلسطين والعراق، ناهيك بتلك التي يدبرها عرب آخرون في غرب السودان.

يرى آرييل شارون يقيم الدنيا مع احدى اكبر الدول الاوروبية. يلمس الحجم الايراني في الجغرافيا الاقليمية، ثم يتنبه الى حركة دبلوماسية غري معهودة في الشرق الاوسط، بين زيارات رئيس الحكومة العراقية اياد علاوي وجولة وزير الخارجية الاميركي كولن باول وتعريجة الرئيس السوري بشار الاسد على القاهرة طلباً للاستفسار او الوساطة، فينتهي امام تراكم الاخبار والانطباعات الى الاعتقاد، وبلاعقلانية كاملة، ان الامور تكون تغيّرت عند عودته، وان شيئاً من الجدية سيكون دخل الى اللعبة السياسية اللبنانية. ولكن عبثاً...

في الواقع، ليس كل من يغيب عن لبنان معنياً بالبحث عن عقلانية جديدة حين يعود اليه. وقد يصح العكس، كما حصل مع رئيس الجمهورية بعد عودته من رحلة الاستجمام السنوية في موناكو. فما ان عاد حتى عادت معه اللعبة العقيمة التي تفسد الحياة السياسية اللبنانية منذ اشهر. وكأنهم لا يسمعون عن تحولات دولية ولا اقليمية، حيث يمضي الرئيس عطلته. او انه هو الذي لا يريد ان يسمع ويفهم ان ثمة شيئاً اهم في حياة البلاد من رغبته في البقاء في الحكم. بل ان ثمة شيئاً اهم في الاولويات السورية من تمديد امد رئاسة العماد اميل لحود، او هكذا يفترض.

ففي المنطق الظاهر للامور، صار هناك تناقض بين الرغبة في التمديد (او التجديد) والسعي السوري الى اعادة التوضع في السياسة الاقليمية كما يمكن استشفافها من بحث الحكم البعثي في دمشق عن سبيل جديد للكلام مع الولايات المتحدة، ومن تبدل لهجته في الحديث عن اتفاق الشراكة المعطل مع اوربا، فضلاً عن تراجعه عن الخطابية في المسألة العراقية.

وحتى لو قبلنا ان هذا التراجع الذي امكن لمسه في دمشق وبيروت (وطرابلس التي لم تتظاهر ضد علاوي)، قابلته اثمان اقتصادية لا يستهان بها، فهذا دليل اضافي على اعادة تموضع السياسة السورية خارج منطق الصمود والتصدي.

في ازاء هذه الدلائل، يبدو مسعى التمديد خارج الصحن. فرغم ان دمشق تهوى المحافظة على الغموض، وانها لم تنفض يديها في العلن من هذا المشروع، فانها لم تعد تستطيع تبنيه الا اذا كانت تريد ان تعلن على الملأ انها مصررة على عزلتها وغير معنية باستكمال عملية اعادة تموضعها، وهو الخيار الذي لا طاقة لها عليه.

دعاة التمديد لم يصلوا بعد الى هذا الاقتناع، ولعلمهم لن يصلوا ابداً، وهذا مفهوم، وان لم يكن مشروعاً. فسلطة الخيال تقوى عندما تكون السلطة خيالياً ومنافعها اكبر من الخيال. وعند هؤلاء انهم يستطيعون القتال حتى اللحظة الاخيرة لفرض امر واقع على سلطة الوصاية السورية.



ولا ريب ان الوصي يشجعهم في ذلك صوتاً للغموض الذي يعشق، هذا ان لم يكن يستخدمهم من حيث لا يدرون. فكلما ازداد صلفهم نجحت دمشق في ان تخفض مستوى التطلعات حتى يصير لسان حال المواطنين: أي كان، ليأتوا بأي كان غيره ونخلص!
قد ينجح الحكم البعثي في الاتيان بـ"أي كان"، وسيكون في ذلك اكثر شطارة من حزب التمديد، واكبر خيالاً. لكنه لن يكون اكثر ذكاء. فاذا كان "أي كان" كفيلاً بإشعار الناس بتحسن طفيف في معنوياتهم، إن لم يكن في وضعهم، فان الاكتفاء بـ"أي كان" يعني ايضاً ان السياسة السورية صارت، كما اللبنانية، تفتقر الى الجدية. وانها لم تنجح الا في تأبيد المأزق الذي تغرق فيه مثلما يغرق لبنان.

سمير قصير



Id-Reference	04-Pr-000647	
Media	(Support)	HC
Title		سلطة الخيال
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٤/٧/٣٠ 30/7/2004
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	اريبيل.شارون - اميل.لحد - اياد.علاوي - كولن.باول - بشار.أسد
	Locations	لبنان - سوريا - ولايات.متحدة - شرق.أوسط - موناكو
	Dates	
	Themes	لبنان - سوريا - اميركا - وصاية.سوريا - سوريا.نظام - عراق - رئيس.جمهورية - تمديد - سياسة.سورية.اقليلية - اياد.علاوي - غوغل - بورصة.نيويورك - عرب - حكم.بعثي - حزب.بعث - سياسة.سورية - شرق.أوسط - سياسة.لبنانية - تمديد.ولاية.رئيس.اميل.لحد -
Subject		